

التغير الإجتماعي ودوره في تغير القيم الإجتماعية

د/ لطيفة طبال

Retimi59@yahoo.fr

جامعة سعد دحلب البلدية (الجزائر)

Résumé:

A travers cet article nous tentons d'étudier l'impact du changement social sur les valeurs.

Notre étude vise le thème des valeurs qui est un thème de sociologie par excellence.

Aussi nous traitons les théories explicatives à travers cette étude.

تمهيد:

يعدّ التغيّر الإجتماعي سمة من سمات الكون. والتغير يمس جوانب الحياة سواء منها المادية أو المعنوية، فيمس الأفراد والجماعات والمجتمعات، يمس القيم والعادات والثقافات. كما يرتبط بالتحضر والتنمية والنمو والتقدم والتكنولوجيا والإعلام وأسلوب الحكم، كما يمسّ التنشئة الإجتماعية وطريقة الحياة.

وهو عملية إجتماعية تتحقق عن طريقها تغير في المجتمع بأكمله، أي نظمه الإجتماعية كالنظام السياسي و الإقتصادي والعائلي... الخ. وذلك في حدود فترة زمنية محددة وذلك نتيجة عوامل ثقافية واقتصادية وسياسية يتدخل بعضها ببعض ويؤثر بعضها في الآخر، فالتغير صفة ملازمة منذ القدم حتى اليوم، فهو صفة أساسية للمجتمعات على اختلافها سواء كانت رعية أو زراعية أو رأسمالية أم إشتراكية، نامية أم متقدمة.

والتغير لا يسير دائما نحو التقدم أم نحو الأمام، فالتغير قد يكون إلى الوراء فيعدّ تخلفا، ومفهوم التغير من المفاهيم التي احتلت مكانة محورية في بناء النظرية السوسولوجية، وسنتناول في المبحث الأول من هذا الفصل تعريف التغير الإجتماعي وخصص المبحث الثاني لتصنيف التغير، أما المبحث الثالث لخصائص عملية التغير ثم بعض مظاهر التغير الإجتماعي، ودوره في تغير القيم الإجتماعية والمبحث السادس العوامل المؤثرة في تغير القيم ثم أهم نظريات التغير الإجتماعي.

أولا: في ماهية التغير الإجتماعي Chagement Social**1* التعريف الاصطلاحي للتغير الإجتماعي:**

إنّ اصطلاح change يعني: انتقال أي شيء أو ظاهرة من حالة إلى حالة أخرى، أو هو ذلك التعديل الذي يتم في طبيعة أو مضمون أو هيكل شيء أو ظاهرة ويقصد باصطلاح Social الشخص وعلاقاته وتفاعله مع الآخرين، أما مصطلح التغير الإجتماعي Chagement Social فإنه يشير إلى تلك العملية المستمرة والتي تمتد على فترات زمنية متعاقبة يتم خلالها حدوث اختلافات أو تعديلات معينة في العلاقات الإنسانية أو في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الإجتماعية¹. ويعني "التغير"

¹ محمد عمر الطنوبي، التغير الإجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه، جامعة الإسكندرية ج.م.ع، جامعة عمر المختار ليبيا، 1996، ص52.

الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة أو اختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة محددة من الزمن.

وحيثما تضاف كلمة الإجتماعي، التي تعني ما يتعلق بالمجتمع فيصبح التغيير الإجتماعي: التغيير الذي يحدث داخل المجتمع أو التحول أو التبدل الذي يطرأ على البناء الإجتماعي خلال فترة من الزمن².

والمجتمع Société هو مجموعة مقعدة من العلاقات الإجتماعية لا يبقى كما هو، أي في حالة استقرار أو ثبات، ولكنه في حالة دائمة من الحركة والتطور المستمر شأنه في ذلك شأن الكائنات الحيّة تماماً³.

ويعني التغيير الإجتماعي دراسة التحول أو التعديل الذي يتم في طبيعة ومضمون وتركيب الجماعات والنظام وكذا في العلاقات بين الأفراد والجماعات وكذا تلك التغييرات التي تحدث في المؤسسات أو التنظيمات أو في الأدوار الإجتماعية⁴.

ثانياً. التعريف الفلسفي

يعتبر مصطلح التغيير الإجتماعي مصطلحاً حديثاً نسبياً بوصفه دراسة علمية، ولكنه قديم من حيث الإهتمام به وملاحظته. ولقد كانت الدراسات القديمة قائمة على التفكير المجرد الفلسفي ولكنها تشكل إطاراً مرجعياً للدراسات العلمية الراهنة.

حيث اعتبر الفلاسفة ظاهرة التغيير حقيقة الوجود أي أن كل موجود لا بد أن يتغير وأن التغيير لا الثبات هو الدال على وجود الموجود وعبر عن هذه الفكرة المفكر اليوناني (هوقراطيس) في مقولته: "إن الفرد لا يستطيع أن يقول أنني أعبّر النهر الواحد مرتين ذلك على اعتبار أن ذرات الماء التي لامست جسمه في المرة الأولى غيرها في المرة الثانية، كما أن الشخص نفسه يكون قد تغير⁵". وقد أكد كثير من الفلاسفة اليونانيين حقيقة ظاهرة التغيير والنمو وخاصة أرسطو الذي اعتبر التغيير ظاهرة "تعم على الموجودات كافة وفي الأوقات كلها"⁶.

وكانت نظرة العلماء للتغيير حتى القرن الثامن عشر نظرة تشاؤمية "Pessimisme"، مبنية على الخوف من المستقبل، وأن حالة المجتمعات في القديم

² محمد الدقس، التغيير الإجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجلدوي للنشر والتوزيع، عمان، 1987، ص15.

³ محمد عمر الطنوبي، مرجع سابق، ص52.

⁴ نفس المرجع، ص52.

⁵ Robert A.Nisbet, Social change and history, oxford university press, London, 1969, pp 15-20.

⁶ Ibid pp 20-29.

أفضل من الحالة الراهنة والمستقبلية، في حين أخذ العلماء ينظرون بعد ذلك التاريخ نظرة تفاؤلية "Optimisme" معتبرة حالة المجتمعات الراهنة أفضل من سابقتها، وأن العصر الذهبي أمامنا وليس خلفنا على حد تعبير سان سيمون Saint simon⁷.

ومع بداية القرن الثامن عشر ازداد الإهتمام الكبير بموضوع التغيير الاجتماعي، وذلك بفتح الأبواب أمام عصر التنوير الأوروبي الذي أجمع مفكريه أن الإنسان قادر على تغيير ظروفه الروحية والمادية فأصبح التغيير اليوم من أهم المسائل التي تشغل الفكر الاجتماعي الحديث فأخذت الجهود تتجه نحو التغيير من أجل تنمية هادفة⁸.

ثالثاً. التعريف السوسولوجي للتغيير الاجتماعي

يعرّف صلاح العبد التغيير الاجتماعي "بأنه ظاهرة طبيعية تخضع لها نواميس الكون وشؤون الحياة من خلال التفاعلات والعلاقات والتبادلات الاجتماعية المستمرة والتي تفضي إلى تغيير دائم"⁹.

كما يعرفه أحمد زكي بدوي: "أنه كل تحول يقع في التنظيم الاجتماعي سواء في بنائه أو في وظائفه خلال فترة زمنية معينة، والتغيير الاجتماعي على هذا النحو ينصب على تغيير يقع في التركيب السكاني للمجتمع أو في بنائه الطبقي، أو نظمه الاجتماعية، أو في أنماط العلاقات الاجتماعية أو في القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكاناتهم وأدوارهم في مختلف التنظيمات الاجتماعية التي ينتمون إليها"¹⁰.

ويشير عاطف غيث إلى التغيير الاجتماعي بأنه: "التغيرات التي تحدث في التنظيم الاجتماعي أي في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة والمختلفة"¹¹. ويرى عاطف غيث كذلك أن التغيرات الاجتماعية تأتي على أشكال متعددة منها التغيير في القيم الاجتماعية والتي تؤثر بطريقة مباشرة في مضمون الأدوار الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي والتغيير في النظام الاجتماعي أي في المراكز والأدوار الاجتماعية، كالإنتقال

⁷ محمد الدسق، التغيير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، مرجع سبق ذكره، ص23.

⁸ ذهبية أوموسي، المسنين في مركز العجزة، دراسة ميدانية في كل من مركز دالي إبراهيم وديار الرحمة ببئر خادم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة البليدة، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، السنة الجامعية 2004/2003، ص124، غير منشورة.

⁹ إبراهيم العسل، الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1997، ص75.

¹⁰ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لنجليزي فرنسي عربي، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت 1982، ص382.

¹¹ محمد عاطف غيث، التغيير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف ط2 القاهرة، 1966، ص25.

من نظام تعدد الزوجات إلى نظام وحدانية الزوج والزوجة ومن الملكية المطلقة إلى الديمقراطية... الخ، والتغير في مراكز الأشخاص يحدث ذلك بحكم التقدم في السن أو نتيجة الموت¹².

ويذهب (جنزيرج) أن التغير الاجتماعي "هو كل تغير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي، ولهذا فإن الأفراد يمارسون أدواراً اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها خلال حقبة من الزمن"¹³.

ويعرّف جي روشي "Guy rocher" التغير بأنه: كل تحول "Transformation" في البناء الاجتماعي يلاحظ في الزمن لا يكون مؤقتاً سريع الزوال لدى فئات واسعة من المجتمع ويغير مسار حياتها¹⁴.

كما يمكن تعريف التغير أنه عملية اضطرارية ومستمرة للتحول أو التعديلات التي تطرأ على أنساق العلاقات الاجتماعية¹⁵.

هذا ويعتبر كل من حيرث "Gerth" وملز "Mils" أن التغير الاجتماعي هو التحول الذي يطرأ على النظم الاجتماعية، وقواعد الضبط الاجتماعي التي يتضمنها البناء الاجتماعي في مدة معينة من الزمن¹⁶.

والتغير الاجتماعي كما يعرفه روجرز "Rogers": "هو العملية التي يحدث من خلالها تغير وتبديل البنين والوظيفة الاجتماعية للنظم الاجتماعية"، وقد يحدث ذلك من خلال المخترعات والمبتكرات الجديدة، ومنها ما يحدث بسبب الفياضات، الحروب والثروات الداخلية، كما تكون عملية التغير الاجتماعي مخططة أو غير مخططة، كما تكون عملية التغير الاجتماعي مخططة أو غير مخططة وكما يذكرها Roger يكون مصدرها إما خارجي أو داخلي¹⁷.

تصنيف التغير الاجتماعي¹⁸:

¹² محمد الدسق، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، مرجع سبق ذكره، ص 18.

¹³ أحمد النكلاوي، التغير والبناء الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968، ص 8.

¹⁴ Guy Rocher, le changement social. Introduction à la sociologie générale, Ed H.M.H.Paris 1968, p19.

¹⁵ السيد عبد العاطي السيد، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، بدون سنة، ص 83.

¹⁶ أحمد النكلاوي، مرجع سبق ذكره، ص 8.

¹⁷ محمد عمر الطنوبي، التغير الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص

¹⁸ محمد الدسق، مرجع سبق ذكره، ص 23.

إن علماء الاجتماع صنفوا مفهوم التغيير الاجتماعي إلى عدّة مفاهيم كلها مرتبطة ومتعلقة ومشتقة منه، لأن بهذا التصنيف يمكن أن نفهم أكثر مفهوم التغيير الاجتماعي، لأنها مصطلحات مشابهة له، وإن اختلفت في المضامين مثل التقدم الاجتماعي، التطور الاجتماعي، التخلف، التحديث، التنمية الاجتماعية، التغيير الثقافي، الصيرورة الاجتماعية (العمليات الاجتماعية... الخ)، وفيما يلي بعض المفاهيم المرتبطة بالتغيير الاجتماعي:

1. التقدم الاجتماعي:

وهو مفهوم ثاني جوهرى مرتبط بالتغيير ومرادفا له، وهو يشير إلى الصيرورة المباشرة ذات الاتجاه الاجتماعي، قد جاء ذلك واضحا في كتابات أوغيست كونت (August Conte) وكوندرسه (Condorcet) وتيرجو (Turgot) وغيرهم، والذي يعني: حركة تسير نحو الأهداف الموضوعية التي تنتهي إلى نفع¹⁹ أي اتجاه ضد الركود والإستقرار بل التعامل مع المجتمع من خلال العلوم الطبيعية وهي جركتها الدائبة ذات الفائدة والمنفعة للمجتمع. إن فكرة التقدم من نقيض التوازن والإستقرار، حيث يشير على التغيير المعبر عن التحولات التدريجية والبطيئة المستمرة لتصل إلى المستقبل وهذا ما قاله روبرت نسبت (1980) عالم الاجتماع امريكي وحسبه للتقدم عدّة خصائص منها ما يلي²⁰:

1. وجود فكرة الزمن الذي لا يقبل الرجوع لأنه سائر من الماضي عبر الحاضر متجها نحو المستقبل بشكل مستقيم ومتضمن الإستمرارية.
2. وجود فكرة موجهة أو ذات اتجاه معين لا يتضمن التكرار والإعادة.
3. فكرة الصيرورة التراكمية التي تتقدم خطوة خطوة بشكل تدريجي ومتسلسل أو بأسلوب ثوري يقفز قفزات نزعية.
4. وجود فكرة التحسين المسبق يحصل في كل مرحلة من مراحل التقدم، وكل مرحلة تكون افضل من السابقة، حتى يصل إلى مرحلتها الأخيرة المليئة بالرفاهية والحرية والعدالة والمساواة. هنالك من يعرف التقدم بأنه تطور الحياة العقلية للإنسان وتزايد قدرة

¹⁹ معن خليل العمر، التغيير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2004، ص51.

²⁰ نفس المرجع، ص ص 52-53.

الإنسان على التحكم في الطبيعة، كما أنه تبني أنماط جديدة من الفكر والسلوك يتقبلها المجتمع ويرى فيها فرصة سانحة لتحقيق آماله في حياة أفضل²¹.

ومن أمثلة التقدم وسائل النقل التي تطورت عبر مراحل التاريخ حيث كان الحيوان هو الوسيلة الوحيدة للتنقل من مكان إلى آخر، فظهرت العربة، السيارة، الطائرة ومختلف الوسائل الأخرى، والتي اختصرت الزمن وقربت المسافات، كذلك سرعة إرسال الرسائل عن طريق جهاز الفاكس بدلا من البريد، وظهور الهاتف والهاتف النقال والتلفزيون وجهاز الكمبيوتر والانترنت، وتطور العلاج والدواء والعمليات الجراحية وسعة المعرفة وعمقها، ومن الناحية الاقتصادية تطورت الزراعة والتجارة والمنشآت الصناعية ووفرة رؤوس الأموال، واتساع الأسواق الداخلية والخارجية... الخ، ومن الناحية الاجتماعية والثقافية إرتفاع مستوى المعيشة وارتفاع نسبة التعليم، وتوفير الرعاية الاجتماعية من تعليم وصحة وإسكان وترفيه، التحرر من العادات الضارة كالشعوذة والخرافات، و الإفتتاح على الأفكار الجديدة، و العالم الخارجي بما يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع، أما من الناحية السياسية كإقامة مجتمع آمن يتمتع بالحرية و الديمقراطية وبعيد عن القهر و الحقرة و التعسف... الخ.

والتقدم تناوله الكثير من العلماء والفلاسفة، ففي القرون الوسطى كانت هناك بعض العناصر قدمت إضافات جديدة لفكرة التقدم مثل بوناردو وروجر بيكون (1214-1292) حول تطور البشر عبر مراحل متصلة، وفي مرحلة النهضة ظهرت كتابات عن التقدم مثل كوندرسيه (1743-1794) الذي وضع عشر مراحل لتطور الأمم الذي أكد على العلم والمعرفة في تطور الأمم. وفي القرن التاسع عشر ظهرت كتابات تقدم الأدب والفلسفة والعلم عبر كتابات أوغيست كونت الذي كتب عن التقدم الفكري عبر مراحل ثلاث وهيرت سبنسر الذي كتب عن تطور المجتمعات وكارل ماركس، وماكس فيبر الذي حدد اتجاه التقدم نحو العقلانية ثم إميل دوركايم (1858-1917) الذي كتب في موضوع نظام تقسيم العمل والتقدم... الخ²²، وبالتالي فإن نظريات التقدم تطورت مع ظهور الثورة الصناعية وقد اتجهت جهود المفكرين في بحث مشكلة التقدم نحو التركيز على عوامل التقدم.

²¹ عبد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 17-18.

²² معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 54.

وهكذا نرى بأن مفهوم التقدم كما يعرفه هوبهاوس (Hobhouse) بأنه نمو اجتماعي للجوانب الكمية والكيفية في حياة الإنسان، وكاريف (Karoyer) يعرفه بأنه: تطور تدريجي بدل على نمو المجتمع وتصاحبه مؤشرات تدل على مدى التقدم²³.
والتقدم قانون إنساني بمعنى أنه لا يوجد إلا في المجتمع الإنساني، ذلك أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكن أن يتقدم أي يرتقي في حياته من حالة إلى حالة أعلى²⁴.

نستنتج مما سبق أن التقدم يأخذ التدرج الجزئي يذهب إلى حالات أفضل وأحسن كالتقدم العلمي والاختراعات والنظريات وكل ما كان ذا منفعة للبشرية والذي تراكم بشكل بطيء عبر الزمن إلا أن هناك من يرى أن التقدم المفاجيء والذي يؤدي إلى انفجار كبير يؤدي على تغيير المجتمع بالكامل مثل الثورة العلمية أو الثورة الشاملة²⁵.
كما أن التقدم لم يكن دائما هو سمة الشعوب والمجتمعات بسبب الحروب والقتل والصراعات والإرهاب وانتشار الفقر والمجاعة في كثير من المجتمعات وارتفاع معدل الجرائم والانحرافات السلوكية وتدهور المبادئ والقيم وانتشار الظلم والحفرة واللامساواة وانتشار الخرافات والأناثية والفردية وعدم الشعور بالإنتماء... الخ.

إن مثل هذه القيم السلبية هي التي أصبحت سائدة في المجتمع، مما دفع بعدد من المفكرين وعلماء الاجتماع البحث عن قيم جديدة وإعادة الاعتبار إلى القيم القديمة والتي تمثل خصوصيات المجتمع المتقدم ومنهم المفكر (طارق حجي) الذي قدم في كتابه بعنوان "قيم التقدم" مجموعة من أهم قيم التقدم نلخصها فيما يلي²⁶:

قيمة الوقت أو تقدير الوقت وقيمة الإتقان والتي تعني الجودة وتكون في مرحلة التخطيط والتنفيذ ثم المراجعة والتي تبرز المتميزين من أفراد المجتمع، ثم قيمة التعددية وتعني تعدد الثقافات والأراء واساليب الحياة والتي تؤدي إلى أن يجترم الفرد آراء وتوجهات الآخرين، ويؤدي ذلك على توسيع قيم احترام الغيرية، وقيمة نقد الذات فمن أكبر أدوات البناء ومن مجموع العقول الناقدة يتشكل النجاح والتميز، كذلك قيمة العلم لأن بالعلم تتقدم الأمم وتبنى الحضارات²⁷. فهذه القيم حسب المفكر طارق حجي أنها

²³ محمد الدقس، مرجع سبق ذكره، ص 27.

²⁴ محمد عمر الطنوبي، **التغير الاجتماعي**، مرجع سبق ذكره، ص 107.

²⁵ معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 56.

²⁶ صلاح البيومي، **التنشئة والشخصية للطفل بين الواقع والمستقبل**، قرأ 680، دار المعارف، بدون سنة، ص 109.

²⁷ طارق حجي، قيم التقدم، دار المعارف، 2001، ص ص 41-48،

قيم التقدم وهي التي ينبغي أن تغرس في المناخ الثقافي والتعليمي، وبها يمكن أن يحقق التقدم الإداري وانها قيم تنتمي إلى الإنسانية فحسبه التقدم والتحضر والتمدن وسائل لا تحققها الأموال ولا تبلغها الثروات الطبيعية وإنما تحققها منظومة القيم الشائعة في المجتمع من قاعدته على قمته²⁸.

وما هو حاصل في المجتمعات العربية ومنها الجزائر أن التخلف راجع بالدرجة الأولى على الإضطراب السائد في النسق الاجتماعي للقيم سواء عند الأطفال أو الكبار، وبلورة قيم اجتماعية جديدة.

واندثار أو تكاد تندثر أغلب القيم الاجتماعية الإيجابية التي كانت محافظة على النظام الاجتماعي، وتماسكه وعدم تعرضه للتفكك والإنهيار وهذا بتأثير عوامل مختلفة منها داخلية وخارجية، منها سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية سنتعرض لبعضها بالتفصيل في المبحث السادس. وذلك مثل قيم الابتكار، التضامن، التعاون، مشاركة الآخرين في أفراحه وأحزانه، إحترام الآخر ورأي الآخر، واحترام الكبيرة طاعة الوالدين، التسامح، عدم التعصب، رفض قيم الأنانية والانتهازية، ونبذ الآخر، نبذ العنف والإرهاب، قيمة الحياء والحشمة، العدل، الشجاعة، الكرم، الصدق، الوفاء، الإخلاص، الأخوة، الصداقة الحقة، الضيافة، العطف والإحسان على الآخرين احترام المواعيد والأمانة... الخ، كلها قيم وغيرها أصبحت مفقودة أو تكاد من المجتمع الجزائري والعربي، فكيف نستطيع أن نقول أن المجتمع يعرف دائما تقدما والواقع ينفي ذلك ومنه نرى أن هناك اختلاف بين مفهوم التقدم والتغير لأن التقدم يحمل معنى التحسن المستمر نحو الأمام أو يسير في خط صاعد في حين التغير قد يكون تقدما أو تخلفا، وبالتالي فالتغير هو المصطلح الذي يتوافق مع واقع المجتمعات لأن هذه الأخيرة ليست دائما في تقدم مستمر بل يصيبها التخلف كما يصيبها التقدم.

2. التطور الاجتماعي:

مفهوم التطور يعني النمو البطيء المتدرج الذي يؤدي إلى تحولات منتظمة ومتلاحقة، تمر بمراحل مختلفة ترتبط فيها كل مرحلة لاحقة بالمرحلة السابقة²⁹. ويعرفه معجم علم الاجتماع: أنه العملية التي بموجبها تحقق المجتمعات الإنسانية نموا مستمرا مرورا بمراحل متلاحقة مترابطة³⁰، ولقد برز هذا المفهوم بشكل

²⁸ نفس المرجع، ص 21.

²⁹ محمد النقس، مرجع سبق ذكره، ص 28.

واضح في القرن التاسع إثر النجاح الذي حققته علوم الحياة والتي أدت إلى ظهور نظرية التطور "لداروين" الخاصة بتطور الكائنات الحية والتي فتحت الباب أمام مختلف العلماء والمفكرين للبحث عن اصول مختلف الظواهر الاجتماعية تأصل الحضارة، اللغة والدولة... الخ³¹، وهكذا فقد استعمل مفهوم التطور الاجتماعي بشكل واسع في العلوم الاجتماعية وفي علم الاجتماع بشكل خاص في وصف التحولات التي طرأت على المجتمع الذي شبه الكائن الحي، كما جاء عند هيربرت سبنسر (H.spencer) الذي يشير على تطور المجتمع على غرار تطور الكائن العضوي، حيث عرّف التطور بأنه "إنحدار سلالي معدل على نحو معين"³².

أما تايلور (Taylor) يقول: نجد أن التماثل الذي يسود في الجانب الأكبر من الحضارة يمكن إرجاعه إلى التأثير المتماثل للأسباب المتماثلة، بينما نلاحظ من ناحية أخرى أن الدرجات المتفاوتة للتماثل يمكن أن تعتبر مراحل للنمو أو التطور تمثل كل منها محصلة تراث سابقة وهي بصدد أداء دورها المناسب في تشكيل أحداث المستقبل³³، وقد أشار العديد من المفكرين المحدثين على الفروق القائمة بين نظرية البيولوجية والنظريات المختلفة في التطور الاجتماعي. وبالتالي فكرة التطور سيطرت على مختلف مجالات الفكر، وغيّرت أنماط التفكير السائدة حينذاك وهدمت الكثير من الأفكار والمعتقدات والفلسفات، كما أصبحت أسلوباً في فهم الإنسان والمجتمع عن طريق ما يعرف باسم: "المماثلة البيولوجية"³⁴.

وفي هذا الصدد بين ويليام أوجيبيرن (w.Ogburn): أن المحاولات المبذولة للكشف عن قوانين الوراثة والتنوع والانتخاب في تطور النظم الاجتماعية، لم يفسر إلا القليل من النتائج الحيوية والهامة³⁵، وهكذا يمكن حصر مفهوم التطور الاجتماعي في التحول المنظم من أشكال البناء الاجتماعي البسيطة إلى الأشكال الأكثر تعقيداً، اعتماداً

³⁰ نفس المرجع، ص 28 نقلاً عن : Mitchell G. Duncan: A dictionary of sociology, Lontdlege & Kegan paul. London 1968.

³¹ أوموسى ذهبية، مرجع سبق ذكره، ص 127.

³² محمد علي محمد وآخرون، دراسات في التغيير الاجتماعي، دار الكتب الجامعية الإسكندرية، 1974، ص 35.

³³ نفس المرجع، ص 35.

³⁴ محمد أحمد الزغيبي، التغيير الاجتماعي، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، 1978، ص 38.

³⁵ محمد علي محمد وآخرون، مرجع سبق ذكره، ص 35.

على المماثلة العضوية التي شبه بها المفكرين الإجماعيين التطور في الحياة الاجتماعية بالتطور البيولوجي للكائنات الحية³⁶.

مما سبق يمكن ملاحظة أن هناك اختلاف واضح بين التطور العضوي والتطور الإجماعي، فالأول هو حتمي ويسير في خط مستقيم أما الإجماعي والثقافي يسير وفق تأثير عوامل مختلفة كالعامل السياسي والإقتصادي والثقافي والإجماعي والتاريخي والسكاني... الخ، والتطور كما يحدث في العناصر المادية والفكرية للمجتمعات يحدث أيضا في ثقافة المجتمعات، فتتطور العادات والتقاليد والقيم، فتتأثر المجتمعات نمت مع الزمن وبصورة متزايدة التعقيد.

هذا ويعتبر كوندرسيه (Condorcet) 1743-1794 "أن التطور أمر ضروري وعملية مستمرة، وأن الحياة الاجتماعية قد تطورت من مرحلة الصيد ثم الرعي والزراعة تليها مرحلة العلوم والفلسفة اليونانية ومرحلة الحضارة الرومانية، ثم مرحلة الجمود العلمي ومرحلة اختراع الطباعة، ثم تأتي مرحلة التحرر الفكري والإصلاح الديني، بعدها مرحلة الثورة الفرنسية وأخيرا المرحلة التي ستحقق السعادة للجميع³⁷.

إن المراحل التي ذكرها كوندرسيه ليست بالضرورة هي المراحل التي مرت بها كل المجتمعات، وبالتالي لا نستطيع اعتبار أن التطور يسير وفق هذه المراحل العشر، وبالنسبة للمرحلة العاشرة والتي فيها تكون السعادة للجميع الواقع ينفي ذلك لأن كثير من المجتمعات وإن لم تكن كلها، ولكن بنسب متفاوتة- تعرف مشاكل إجتماعية متعددة وانحرافات سلوكية وتدهور القيم الثقافية التقليدية و بروز قيم جديدة، كما تعرف الحروب والصراعات، وتعرف القتل والتدمير والإرهاب والتخلف والمجاعة وتفشي الأمراض والأوبئة، وحتى المجتمعات المتقدمة والتي تعرف تطورا بارزا في الناحية المادية والتكنولوجية والعلمية إلا أنها فقدت كثير من القيم الروحية والإنسانية، فأصبحت تسود فيها قيم الأثنية والإنتهازية والفرديانية والظلم والسيطرة واللامبالاة بألم الآخرين... الخ. ومن هنا نلاحظ أن التطور الإجماعي هو الآخر عرف التخلف فلماذا يعد مفهوم التغيير هو أنسب مفهوم يعبر عن واقع المجتمعات وأكثر واقعية من مفهوم التطور الإجماعي.

3. مفهوم التنمية الاجتماعية (Développement Social):

³⁶ عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999، ص 355.

³⁷ محمد عمر الطنوبي، التغيير الإجماعي، مرجع سابق، ص 86-87.

يعرفها أحمد زكي بدوي: "بأنها الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغييرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع وذلك بزيادة قوة أفرادها على استغلال الطاقة المتاحة على أقصى حد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية لهؤلاء الأفراد بأسرع من معدل النمو الطبيعي"³⁸، ويعرفها حسن سعفان: "بأنها الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط إجتماعي معين، بقصد تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية، ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية في نواحيها المختلفة كالتعليم والصحة والأسرة والشباب، ومن ثم الوصول إلى تحقيق أعلى مستوى ممكن من الرفاهية الاجتماعية"³⁹.

كما تعني التنمية "التحريك العلمي المخطط للعمليات الاجتماعية والإقتصادية من خلال إيديولوجية معينة من أجل الانتقال بالمجتمع من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة مرغوب الوصول إليها والوصول بالمجتمع إلى أعلى درجات التقدم"⁴⁰. وحتى نستطيع فهم التنمية الاجتماعية لا بد من توضيح الفرق بين التنمية والنمو. فالنمو هو "عملية النضج التدريجي والمستمر للكائن وزيادة حجمه الكلي أو أجزائه في سلسلة من المراحل الطبيعية ويتضمن النمو تغيرا كميًا وكيفيًا، كما يطبق على المجتمعات والأفراد"⁴¹. والنمو الاجتماعي: هو عمليات التغير الذي يلحق بالبناء الاجتماعي عن طريق التطور الطبيعي والتحول التدريجي⁴². ويختلف النمو (Croissance) عن التنمية (Développement) كون النمو تلقائي بينما تخضع التنمية للإرادة البشرية ومجهود الإنسان⁴³. كما أن النمو يشير إلى عملية الزيادة الثابتة أو المستمرة التي تحدث في جانب معين من جوانب الحياة، أما التنمية فهي عبارة عن تحقيق زيادة سريعة تراكمية دائمة عبر فترة من الزمن⁴⁴، فمثلا الزيادة الثابتة في النسبة

³⁸ أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، انجليزي-فرنسي-عربي، مرجع سبق ذكره، ص 384.

³⁹ حسن سعفان، اتجاهات التنمية في العالم العربي، مطبعة التقدم الجزائر، 1983، ص 224.

⁴⁰ محمد الدقس، مرجع سبق ذكره، ص 35.

⁴¹ أحمد زكي بدوي، مرجع سبق ذكره، ص 187.

⁴² نفس المرجع، ص 384.

⁴³ نفس المرجع، ص 187.

⁴⁴ معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 68.

المؤوية للمتعلمين والمتعلمات إلى مجموع السكان هو من النمو، أما التنمية فتحصل في التعليم في مرحلة النمو الاجتماعي السريع وخلال فترة زمنية ممتدة من الزمن.

وقد اهتم عدد من العلماء باستخدام مفهوم النمو عند تحليلهم لعملية التغيير الاجتماعي والتاريخي ومن بينهم "دوركهايم" و"سينسر"، وهذا ما جاء في كتابتهما عن تفسيرهما لعملية النمو السكاني والتغيرات الاجتماعية التي تحدث نتيجة النمو⁴⁵، فهناك علاقة وثيقة بين التغيير والنمو وبين التنمية فالظواهر والأشياء حينما تنمو لا بد وأن تتغير خلال عملية النمو إلا أن النمو يكون بطيئا وتدرجيا وهو أقرب ما يكون إلى التغيير الكمي منه إلى التغيير الذي يسبق التنمية والتي تشمل على النمو وعلى التغيير... والتغيير بدوره اجتماعي وثقافي كما هو إقتصادي وهو كفي كما هو كمي⁴⁶.

هذا وقد استخدم مفهوم النمو ليشير إلى عملية التنمية خاصة عند عقد نوع من المقارنة بين النمو الإقتصادي الذي حدث في المجتمعات الغربية والتنمية التي عرفتها المجتمعات النامية، وهذا ما جاء في تحليلات "ماكس فيبر" عندما سعى لاستخدام كلمة النمو والتنمية لمعرفة الظروف التاريخية ونوعية التفاعل والسلوك البشري لدراسة عمليات معينة من التغيير الاجتماعي⁴⁷.

كما يمكن استخدام مصطلح التنمية للإشارة إلى النمو المعرفي والثقافي، ومن خلاله تتحدد كيفية سيطرة الإنسان على البيئة الطبيعية عن طريق استخدام التكنولوجيا، كما يمكن استخدامه في التنمية الإقتصادية بتنشيط الإقتصاد القومي وتحويله من حالة الركود وذلك بالتحول إلى إقتصاد الصناعة، ولهذا اعتبرت الزيادة السنوية الملموسة في إجمالي الناتج القومي ومتوسط دخل الفرد المرتفع من المؤشرات الأساسية للتنمية⁴⁸.

بعض مظاهر التغيير الاجتماعي ودوره في تغير القيم الاجتماعية

لقد توالى التغييرات الاجتماعية والثقافية على المجتمعات في العقود القليلة الماضية وخاصة على المجتمعات العربية ولعل من أبرز هذه التغييرات ظهور ظاهرة العولمة وما رافقها من ثورة معلوماتية حيث أحدثت تغيرا في المواقف والاتجاهات والقيم

⁴⁵ عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع النشأة والتطور، مرجع سبق ذكره، ص 355.

⁴⁶ حسن عبد الباسط محمد، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، مصر 1982، ص 85-86.

⁴⁷ عبد الله محمد عبد الرحمان، مرجع سابق، ص 356.

⁴⁸ معن خليل العمر، مرجع سبق ذكره، ص 68.

الإنسانية لدى أفراد المجتمع⁴⁹ وجعلت العالم أكثر إندماجاً، وجعلت التحولات سريعة هي التي وساهمت في انتقال المفاهيم والقناعات والمفردات والأذواق فيما بين الثقافات والحضارات وهي التي نقلت العالم من مرحلة الحداثة إلى مرحلة ما بعد الحداثة وبالتالي في دخوله إلى عصر العولمة⁵⁰.

إنّ هذه التغيرات كان لها دور في تغيير الثقافة الموروثة للمجتمعات أنّ ثورة المعلومات والاتصال قد أثرت وستؤثر في حياة الأفراد وهي اليوم من أهم العوامل التي تعقد تشكيل خبرات وثقافة وأذواق وسلوكيات الأفراد والمجتمعات⁵¹.

وهذا ما أكدّه عويدات حيث يقول: "لقد ترتب على هذه الثورة المعلوماتية حدوث تغيير إجتماعي متسارع في القيم والمعايير والمؤسسات والعلاقات الإجتماعية والإفتاح الإعلامي الثقافي الحضاري العالمي بفضل وسائل الإعلام السريعة⁵²". وتقف الأسرة العربية حائرة بين المحافظة على الثقافة الموروثة وبين الثقافة الغربية الناجمة عن العولمة والمعلوماتية التي غزت العالم بما تكلمه من تقنيات متطورة وأساليب إغواء متحدية بذلك الخصوصيات مهما كانت وأينما وجدت⁵³. فمن المتفق عليه أن أي مجتمع إنساني له خصوصياته الثقافية بحكم تاريخه الاجتماعي الفريد والذي لا يمكن أن يتكرر، فهي أشبه بالبصمة الثقافية المنفردة كما أن أي منطقة حضارية لها خصوصيتها المميزة مثل المنطقة العربية⁵⁴. إلا أن العولمة تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني وتكون ما يسمى بالقواعد الأخلاقية الكونية والتي تركز على حرية السياسية التعددية الفكرية واحترام حقوق الإنسان تقبل الآخر، وتعمل وسائل الاتصال على زيادة التفاعل الثقافي على المستوى العالمي إلا أنّ الدول التي تمتلك القدرات التكنولوجية سوف تملك القدرة على بث ونشر الرسائل الإعلامية الثقافية بكل ما

⁴⁹ ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2006، ص 53.

⁵⁰ عبد الله عبد الخالق، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفكر، مجلد 28، العدد 2، الكويت 1999، ص ص 39-94.

⁵¹ حسن سمير، الثورة المعلوماتية عواقيها وآفاقها، مجلة الجامعة دمشق، المجلد 18، العدد1، 2002، ص 234.

⁵² ماجد الزيود، مرجع سبق ذكره، ص 75.

⁵³ نفس المرجع، ص 53.

⁵⁴ عبد القادر شريف، مرجع سبق ذكره، ص 76.

فيها من قيم وقد تحمل في بعض الأحيان غزوا ثقافيا قد يهدد الخصوصيات الثقافية لهذه المجتمعات⁵⁵.

ومن مظاهر التغير في ضعف الروابط الأسرية والتواصل الأسري حيث تشهد الأسرة العربية مزيدا من التفكك بسبب تراجع سلطة الوالدين في السيطرة على ضبط سلوك الأبناء. فعلاقة الآباء بالأبناء وعلاقة الرجل بالمرأة كانت على أساس النظام الأبوي والذي يتمثل في هيمنة الرجل على المرأة وهيمنة الكبار على الصغار بما يعني توزيعا هرميا للسلطة على محوري الجنس والسن...

وتتمثل قيم الشرف والاحتشام والجماعية والطاعة عناصر أساسية في هذا النظام وتتصل قيمة الشرف بسلوك الفرد ولكنها لا تقتصر عليه بل تمتد لتشمل العائلة كجماعة تتوحد فيها المسؤولية وتتماثل فيها الذات مع الجماعة، وعلى وجه التحديد تربط هذه القيمة سلوك المرأة بشرف الرجل⁵⁶، فهذه القيم تلاشت وتغيرت النظرة إلى المرأة من خلال وسائل الإعلام من أجل تسويق المنتوجات وجني الأرباح وقد وافق ذلك كله تهميش متعمد من قبل الإعلام لصورة المرأة المثقفة العاملة، والمنتجة، المربية والمناضلة.

ومن أهم نتائج التي توصل إليها الباحث عدلي رضا أنّ القيم الاجتماعية السلبية التي حملتها الأم في المسلسلات هي: حبّ التباهي والمظاهر والنظرة المادية للحياة، وربط الزواج بالمصالح المادية والشخصية، وربط العلاقات الاجتماعية بالمصالح، كما تراجعت وتغيرت القيم الأصلية في الأسرة العربية لتحل محلها قيم ذات صبغة نفعية برمجائية، وهذا ما أكدته الكثير من الدراسات العربية لدى الشباب حيث أظهر تفضيلا لقيم مثل النفعية وقيم الريح والكسب وقيم الإستهلاك... الخ⁵⁷.

كما تأخر سن الزواج عند الأبناء وإلى حين إتمام دراستهم والحصول على وظيفة وتأمين البيت واستتجاره أو بنائه، كما أن القيمة الاجتماعية اليوم للشباب ليست بالزراعة والمساحات الأرضية من المواشي، ولكن بما يحصله الواحد منهم من علم

⁵⁵ نفس المرجع، ص 76.

⁵⁶ ثريا التركي، وهدي زريق، تغير القيم في العائلة العربية، مجلة المستقبل العربي، يصدرها مركز الدراسات الوحدة العربية، عدد 200 أكتوبر 1995، ص 90.

⁵⁷ ماجد الزيود، مرجع سبق ذكره، ص 55.

وشهادات وما يملكه من رصيد بنكي⁵⁸، فأصبح الأفراد يقيسون بعضهم البعض على أساس حجم ثروتهم وممتلكاتهم المادية، وعليه فنوع اللباس والسيارة وقيمة المنزل وتأثيره هي معايير مهمة جدا لكسب مركز محترم في أعين الآخرين⁵⁹.

كما ظهر الانحراف الأخلاقي والسلوكي لدى الشباب في ظل ضعف الوازع الديني والأخلاقي، وضعف سلطة الأبوية، فقد ظهرت على الأسرة العربية ظواهر جديدة كالسرقة والإنحلال الخلقي والإعتداء والسطو وتعاطي المخدرات... الخ، حيث يذكر سليمان عدنان أن 20% من الشباب الجامعي المصري تعاطى أو يتعاطى المخدرات⁶⁰.

كما ظهرت في نهاية هذا القرن في مؤتمر السكان بالقاهرة ومؤتمر بكين مفاهيم جديدة للأسرة، فقد أقروا البناء الأسري القائم على الرابطة الزوجية أو بدونه وأقروا الزواج القائم بين الرجل والمرأة أو بين الرجل والرجل، أو بين المرأة والمرأة، وقد عمل هذان المؤتمران على إطفاء أكبر قدر من الشرعية والحماية لمثل هذه العلاقات الشاذة والإعتراف بها كذلك عملا على تعزيز المصطلحات المستخدمة في هذا النوع من الدراسات لمسح القيم التي تمثل خصوصية المجتمع والتي هي نابعة من الإسلام والإتيان بأخرى بديلة لها مقاصد مختلفة، فمثلا إن هؤلاء الذين يرفضون فكرة الزواج ويفضلون حرية العيش الثقافي أصبحوا يلقبون بالأشخاص المتفردين، والفتيات الصغيرات التي يمارسن الجنس منذ الطفولة ويحملن فإنهن يتمتعن بقدر من الإحترام والرعاية ويلقبن بالمراهقات الحوامل، أما من تتزوج زواجا شرعيا وهي في مثل هذا السن فإن هذا الزواج يلقب بانتهاك الطفلة الأنثى ومن مظاهر التغير انتقال الأفراد من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية والتي فيها الإتصالات بين الأفراد نقل وتحد من

⁵⁸ سلام حلاب، بعض ملامح التغير الاجتماعي الثقافي في الوطن العربي، مجلة الحداثة العدد 3، و4، السنة الأولى، بيروت، 1994، ص 188.

⁵⁹ علي مانع، جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، دراسة في علم الإجرام المقارن، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2002، ص 188.

⁶⁰ سليمان عدنان، مقارنة أولية لتداعيات العولمة على المجتمع العربي، مجلة الفكر العربي، العدد 9، بيروت، 1998، ص 142-162.

إمكانيات كل فرد معرفة الآخر شخصياً، فالإعتماد على النفس صفة تميز سكان المناطق الحضرية⁶¹.

وضُعب العلاقات الودية يؤدي إلى إضعاف الضبط الإجتماعي التقليدي في المنطقة الحضرية وبالتالي تتغير كثير من القيم لدى الأفراد بمجرد انتقالهم من الريف إلى الحضر كما تكثر الإنحرافات السلوكية والجريمة، والقطيعة مع التقاليد والذي يؤدي على عدم الإستقرار الثقافي والتعرض إلى المعايير الإجتماعية المتناقضة، ويرى توبي (Toby) بأن البلدان المصنعة والسائرة في طريق التصنيع تزداد فيها الهوة بين المراهقين والكبار⁶²، فالتوجهات والإرشادات الموجهة إلى الأبناء من قبل الوالدين والجدات تكون غير مجدية ولا يخضعون لها هذا كون الجيل الجديد معرض لتأثيرات جديدة تعكس معايير وقيم التحضر والتصنيع ويصبح الشاب أو المراهق معرض لتأثيرات الأصدقاء وجماعة الرفاق وتوجيهاتهم، ويقل الإرتباط بالأسرة الممتدة أو العائلة الكبيرة، وتقل مكانة المسن ويذهب الأبناء إلى المدارس ويتعلمون فيها المعايير الحضرية الجديدة ويحملون خواص وصفات ومعرفة العالم المعاصر والحديث⁶³.

فعندما يحصل التحضر (Urbanisation) داخل المجتمع تظهر تشكيلات جماعية ثانوية من الأصدقاء والزملاء والمعارف لا تقام على العلائق القرابية بل على أساس قيم حضارية وتظهر هذه التشكيلات في مجال مكاتب العمل والمدارس والتنظيمات المحلية إزاء ذلك لم يصبر الفرد أو يلزم بمعايير اجتماعية تنتقل عبر الأجيال لتنظيم سلوكهم حتى لو لم تكن مسايرة مع المتغيرات الجديدة، بل يختار ما يتناسب مع مؤهلاته أو رغباته أو مزاجه أو هواياته، أي يتحرر من التماثل مع أنماط عيش عاشها آباؤه وأجداده، وهذه الحالة لم تكن سائدة من قبل التحضر إذ كانت الجماعة الإجتماعية الأولية تمنحه الدفاء والحنان والمساعدة والدعم المادي والمعنوي، تسنده في السراء والضراء فيكون محصناً نفسياً واجتماعياً، ومن مظاهر التغير أنه أتاح المجتمع الصناعي الحديث والتقنية الحديثة الفرصة أمام المرأة للإلتحاق بالعمل خارج البيت والمساواة بالرجل والحصول على أجر نظير هذا العمل بعدما كانت المرأة التقليدية

⁶¹ أماني أبو الفضل، عولمة القيم الأسرية، تهديد أمن الأسرة والعدوان على خصوصيتها، ورقة مقدمة في مؤتمر

السكان بالقاهرة، 1996

⁶² نفس المرجع، ص80.

⁶³ معن خليل العمر، التغير الإجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص83.

إما ماكثة بالبيت أو تعمل في الزراعة لتساعد زوجها أو تعمل عمل حرفي كالطراز والخباطة وهي في بيتها، فكانت القيم السائدة أن تتفرغ الزوجة لرعاية الزوج والمنزل والأولاد، وخروج المرأة على العمل كان له تأثير على الحياة الزوجية والعلاقات الأسرية وتأثر الأبناء بعمل المرأة في العصر الحديث. "كما فتح التحاق المرأة بالعمل أمامها مجالات واسعة من النشاط الاجتماعي وأحدث تغييرات هامة في مكانتها في المجتمع"⁶⁴.

فأخر عمل المرأة عدّة تغييرات منها إرسال الأولاد على دور الحضانة والإستعانة بالخدمات، واستخدام الأدوات المنزلية الحديثة، والعمل على تنظيم النسل، والإقلال من الزيارات العائلية واستقبال الضيوف من أهل الزوج والأقارب بسبب عدم تواجدها في البيت في أغلب الأوقات، وطرح مشاكل جديدة كالصراع الظاهر أو المستتر بين الزوج والزوجة على السيادة والميزانية و الإدخار ومعاملة الأطفال والصلة بالنسق القرابي وتمضيه وقت الفراغ وغير ذلك من المسائل التي طرحها وأفرزها التغيير الاجتماعي⁶⁵.

وقد أدى خروج المرأة على العمل والتعلم إلى أن تنزع اللباس التقليدي وتقتني ألبسة تواكب العصر والموضة وهذا ما جعل كثير من النساء يصرفن جزء كبير من رواتبهم على أدوات الزينة والملابس الغالية فأصبحت كثير من الأسر تنبني قيم الإستهلاك بدلا من قيم الإنتاج، إلا أن هذه الظاهرة لا نستطيع أن نعممها على كل النساء لأن كثيرات منهم خرجن إلى العمل لأنهن كنّ مضطرات لأن تعملن بعدما أصبحت العائلة الكبيرة لا تتكفل بهن في حالة موت الزوج أو الطلاق أو الفقر، لأن قيم التكافل الاجتماعي أصبحت شبه معدومة في زمان العولمة والأنترننت.

ولقد انعكست هذه التغييرات التي تعرضت لها المجتمعات العربية عامة والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص على مجموعة من العوامل المتداخلة والمتشابكة والتي أحدثت تأثيرات مباشرة أو غير مباشرة في البنى الاجتماعية والإقتصادية والسياسية والثقافية، فضلا عن تأثيراتها الواضحة في بنية الأسرة باعتبارها من أهم النظم الاجتماعية خاصة في مجال التنشئة الاجتماعية وإعداد الأجيال القادمة وفي أساليب

⁶⁴ عبد المجيد سيد منصور وزكريا أحمد الشريبي، *الأسرة على مشارف القرن 21، الأدوار، المرض النفسي،*

المسؤوليات، ط1، ملتزم الطبع والنشر، دار الفكر العربي، القاهرة 2000، ص143.

⁶⁵ نفس المرجع، ص145.

الانتشئة الاجتماعية⁶⁶ وهذه التغيرات التي تعرضت لها المجتمعات العربية خاصة الأسرة لم تكن فقط تغيرات على المستوى الخارجي المادي وإنما جاءت هذه التغيرات على مستوى القيم الاجتماعية.

وفيما يلي جدول يبين نماذج عن التغير من المجتمعات التقليدية إلى الحديثة⁶⁷.

جدول يعرض مقارنة المجتمعات التقليدية مع الحديثة.

وحدة المقارنة	المجتمعات التقليدية	المجتمعات الحديثة
العناصر الثقافية - القيم	القيم المتجانسة، طارت صفة دينية مقدسة مع بعض الثقافات الفرعية والمضادة	القيم متغايرة غير متجانسة ذات صفة علمانية مع تعدد الثقافات الفرعية والمضادة
المعايير	ذات معنوية جوهرية وتسامح قليل تجاه التنوع والتباين والإختلاف	معايير لفظية شفوية في جوهرها مع تسامح عال تجاه التنوع والإختلاف
التوجه الزمني	الحاضر مرتبط بالماضي	الحاضر مرتبط بالمستقبل
التكنولوجي	مرحلة ما قبل التصنيع ومصادره الطاقية تكون برية وحيوانية	مرحلة التصنيع ومصادر طاقته متقدمة
الدور والمكانة	مكانات محدودة معظمها منسبة (موروثة) وأدوار متخصصة قليلة	عدة مكانات، بعضها منسبة وبعضها الآخر مكتسبة مع عدة أدوار متخصصة
العلاقات الاجتماعية	أولية صرفة وقليل من المجهولية والخاصة وعادة تكون وجها لوجه	ثانوية تنصف بالمجهولية إضافة على اتصالات وسائل إعلام في علاقتهم أي علاقات غير مباشرة
الضبط الاجتماعي	لغظ وقيل وقال عرفي غير رسمي	شرطة رسمية ونسق قانوني
أنماط الفروق الجنسية	ذكوري صريح وواضح وتكون المرأة فيه منزلية في المنزل	إنهيار النمط الأبوي الذكوري وتزايد في عدد النساء في سوق العمل
الإقتصاد	مقام على الزراعة مع بعض المصانع المنزلية مع قليل من الأعمال الكتابية والمهنية	مبني على الصناعات ذات الإنتاج مع تزايد في الأعمال الكتابية والمهنية
الحكومة	صغيرة لا تتداخل في شؤون المجتمع إلا قليلا	كبيرة وتتدخل في تنظيم الشؤون المجتمع
الأسرة	ممتدة، كبيرة الحجم ووسط أولي في الانتشئة والإنتاج الإقتصادي	نووية، صغيرة مع اهتمام بسيط بوظيفة الانتشئة لكنها مستهلكة أكثر من كونها منتجة
الدين	يفقد رؤية الناس للعالم مع قليل في التنوع الديني	ضعيف مع نمو متزايد في العلوم وتنوع ديني وطائفي
التعليم	المدارس الرسمية محدودة وخاصة	التعليم الأساسي عام وشامل لكافة شرائح

⁶⁶ سعد عبد الله الكبيسي، التغيرات الأسرية وانعكاساتها على الشباب الإماراتي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث

الإستراتيجية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية، ط1 2001، ص ص 21-22.

⁶⁷ معن خليل العمر، التغير الاجتماعي، مرجع سبق ذكره، ص 87.

المجتمع مع نمو في التعليم العالي	بالصفوة فقط	
معدل واطيء من الولادات والوفيات و عمر مديد الأفراد بسبب ارتفاع مستوى العيش وتقدم تكنولوجي طبي	معدل عال من الولادات والوفيات وتوقع عمر الفرد واطيء وتدني في مستوى العيش مع تقدم تكنولوجي بسيط	الصحة
كبير وحجم سكاني كبير ومتمركز في المدن	صغيرة وحجم سكاني صغير ومنتشر بين القرى الريفية والمدن الصغيرة	أنماط المجتمعات
سريع والحدث المتغير يقع ضمن الجيل الواحد	بطيء والحدث المتغير يقع عبر الأجيال	التغير الاجتماعي

تعقيب:

من خلال الجدول المذكور أعلاه يمكن أن نبدي بعض الملاحظات تخص موضوع الدروس بالنسبة لهذه المقارنة بين المجتمعات التقليدية والمجتمعات الحديثة، وهذا ما هو موجود في المجتمعات الغربية التي انتقلت من التقليد إلى الحداثة وجعلت قطيعة بين المرحلتين وحدث نتيجة لمرحلة انتقالية طبيعية. أما ما هو ملاحظ في مجتمعاتنا نجد الأفراد ما زالوا متمسكين بالقيم التقليدية كالجيرة و الجهوية، بإقامة الأعراس على الطريقة التقليدية التي تعبر عن الأصالة وعن خصوصية المجتمع وكما نجد أن كثير من الأفراد متمسكين بالعادات والتقاليد في الأعراس والمناسبات والأعياد حيث نجد العائلات والأسر تتبادل الزيارات وتقيم الأعياد الدينية بالطريقة التقليدية، كلها مظاهر تعبر عن المجتمع التقليدي الذي رغم التغير الظاهر في الحياة العصرية سواء في جانبه المادي أو التكنولوجي فلم يتغير بشكل واضح كما هو الحال في المجتمعات الغربية الذي مسها التغيير جذريا وفي الصميم وانتقلت من مرحلة إلى مرحلة أخرى مغايرة تماما عن التي سبقتها، أما عندنا ما زال الفرد إن سلك سلوكا عصرا فإنه يفكر تقليديا وإن فكر تقليديا فإنه يسلك سلوكا عصريا وهذا ما نسميه بمحاولة التكيف أو البحث عن آلية التكيف مع التغير الاجتماعي وهو ما توصلت إليه كثير من الدراسات.

جدول يبين صفات الساكن وصفات المجتمع المتغير حسب وليم أوكيرن

صفات المجتمع المتغير	صفات المجتمع الساكن
تحاول عناصر ثقافية جديدة القيام بتجارب واختبارات جديدة	لا يقبل التجارب والاختبارات الجديدة
الإعتقاد بفكرة التقدم	الإعتقاد بالقضاء والقدر وبطبيعة الاشياء الحتمية التي لا يمكن تجنبها
يعتبر الماضي عندهم عبئا ثقيلا عليهم	للماضي مكانة اعتبارية عظيمة عنده
يتحكم الشباب بالمعلومات من خلال الكتب والدوريات	يتحكم كبار السن بالمعلومات ونقلها من جيل لآخر
الإرشادات والتوجيهات العقلانية تقوم بتوجيه وإرشاد سلوك الأفراد	الماضي والتراث يقودان ويوجهان سلوك الأفراد
لديهم آخر الموضات الشهيرة	لا توجد موضات للباسهم
لا يكون تصرف الأفراد موزونا	يكون تصرف الأفراد موزونا
الطبيعة البشرية محفزة وغير مضمومة	الطبيعة البشرية مضمومة
الفردية عالية وعندهم عادات في تغير دائم	لا وجود للفردية عندهم بل هم محترمون العادات
وجود طبقات اجتماعية	وجود جماعات صغيرة وطوائف
غير عاطفين تجاه كل شيء جديد	عاطفون اتجاه الأشياء
الأدب الفني تحول على موضحة	يجيد الأدب الفني
الدين اقل تأثيرا وينظر إليه نظرة عامة وبسبب في تغير المجتمع	الدين متفوس للأمل لذلك يمنع الثورة ضد المؤسسات التي تسبب القلق والإضطراب

تعقيب:

من خلال الجدول يمكن أن يعقب ما يلي:

هناك مجتمعات لا تقبل التغير والتغيير فيها يسير ببطيء لأنها تتمسك بكل ما هو قديم وكل ما هو جديد مرفوض لديها ويمكن أن نجد هذا النوع في الأرياف والقرى أين تكون العلاقات أولية وجها لوجه وكل فرد فيها يعرف الآخر، ولا تقبل التجارب الجديدة وهي منغلقة على نفسها، ولا تقبل بأي ثقافة تأتيها من الخارج، ولكبار السن مكانة ودور في المجتمع كما أن الفرد يذوب في الجماعة.

وهناك مجتمعات متغيرة ترفض كل ما هو قديم، والشباب هم أكثر عرضة لهذا التغير ويتبعون كثيرا الموضحة كما تذوب القيم الأخلاقية والقيم التقليدية في ظل هذا التغير ويجرون وراء المادة والمنفعة والفردانية ولا يقبلون العادات القديمة كما أن الدين لا يؤثر في سلوكياتهم فيعيشون بدون قيود تحكم تصرفاتهم كالقيم والدين والعادات والتقاليد يحبذون الحرية المطلقة وهذا النوع من المجتمعات تمثلها المجتمعات الغربية.

أما المجتمعات العربية فهي المجتمعات التي تجمع بين الإثنين السكون والتغير، الإنفتاح والعصرنة، التقليد والحداثة.

المراجع :

1. محمد عمر الطنوبي، التغير الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية جلال حزي وشركاه، جامعة الإسكندرية ج.م.ع، جامعة عمر المختار ليبيا، 1996.
2. محمد الدقس، التغير الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار المجدلوي للنشر والتوزيع، عمان، 1987،
3. Robert A.Nisbet, Social change and history, oxford university press, London, 1969,.
4. ذهبية أموسي، المسنين في مركز العجزة، دراسة ميدانية في كل من مركز دالي إبراهيم وديار الرحمة ببئر خادم، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي، جامعة البليدة، قسم علم الاجتماع و الديموغرافيا، السنة الجامعية 2004/2003، غير منشورة.
5. إبراهيم العسل، الأسس النظرية والأساليب التطبيقية في علم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 1997،
6. حمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، لتحليلي فرنسي عربي، مكتبة لبنان ساحة رياض الصلح، بيروت 1982،
7. محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعارف ط2 القاهرة، 1966،
8. أحمد النكلاوي، التغير والبناء الاجتماعي، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1968،
9. Guy Rocher, le changement social, Introduction à la sociologie générale, Ed H.M.H.Paris 1968,.
10. السيد عبد العاطي السيد، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، بدون سنة،
11. معن خليل العمر، التغير الاجتماعي، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2004،
12. عد الهادي الجوهري وآخرون، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999
13. صلاح البيومي، التنشئة والشخصية للطفل بين الواقع والمستقبل، قرأ 680، دار المعارف، بدون سنة،
14. طارق حجي، قيم التقدم، دار المعارف، 2001، ص ص 41-48،
15. Mitchell G. Duncan: A dictionary of sociology, Lontdlege & Kegan paul. London 1968.
16. محمد علي محمد وآخرون، دراسات في التغير الاجتماعي، دار الكتب الجامعية الإسكندرية، 1974.
17. محمد أحمد الزغبي، التغير الاجتماعي، دار الطليعة للنشر والطباعة، بيروت، 1978،
18. عبد الله محمد عبد الرحمان، علم الاجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999،

19. حسن سعفان، اتجاهات التنمية في العالم العربي، مطبعة التقدم الجزائر، 1983،¹
20. حسن عبد الباسط محمد، التنمية الاجتماعية، مكتبة وهبة، مصر 1982،
21. ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2006،.
22. عبد الله عبد الخالق، العولمة جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها، مجلة عالم الفك، مجلد 28، العدد 2، الكويت 1999،
23. حسن سمير، الثورة المعلوماتية عواقبها وآفاقها، مجلة الجامعة دمشق، المجلد 18، العدد1، 2002،.
24. ثريا التركي، وهدى زريق، تغير القيم في العائلة العربية، مجلة المستقبل العربي، يصدرها مركز الدراسات الوحدة العربية، عدد 200 أكتوبر 1995.
25. سلام حلاب، بعض ملامح التغير الاجتماعي الثقافي في الوطن العربي، مجلة الحداثة العدد 3، و4، السنة الأولى، بيروت، 1994.
26. علي مانع، جنوح الأحداث والتغير الاجتماعي في الجزائر المعاصرة، دراسة في علم الإجرام المقارن، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2002،¹
27. سليمان عدنان، مقاربة أولية لتداعيات العولمة على المجتمع العربي، مجلة الفكر العربي، العدد 9، بيروت، 1998،.
28. أماني أبو الفضل، عولمة القيم الأسرية، تهديد أمن الأسرة والعدوان على خصوصيتها، ورقة مقدمة في مؤتمر السكان بالقاهرة، 1996
29. سعد عبد الله الكبيسي، التغيرات الأسرية وانعكاساتها على الشباب الإماراتي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي، دولة الإمارات العربية، ط1 2001،